

- الشعر -

عود على ما سبق

تقدم لنا في الجزء الاول من هذه السنة كلام في حد الشعر وبيان الخصائص التي يمتاز بها عن النثر على قدر ما أدنى اليه البحث واعانت عليه البصيرة . وتقريراً لما ذكرناه هناك نقول ان النثر هو القالب الطبيعي للكلام الموضوع للابانة عن المعاني التي تمثل في النفس يتخاطب به العالم والجاهل والذكي والبليد والكاثر والأمي فوجب ان يكون بحيث تفاهمه هذه الطبقات كلها ويعبر به عن المقاصد بأبين الصور واوضحها وذلك يقضي ولا جرم بان يُستعمل لكل معنى اللفظ الموضوع له بحيث يُنقل من اللفظ الى المعنى من غير واسطة . وبخلافه الشعر فانه من الكلام الذي يقصد به ما وراء مدلول اللفظ من مناغاة النفس ومناجاة الوجدان فتورى فيه المقاصد تحت الصور الخيالية وتبرز المعاني تحت ثوب من المجاز او الكناية ونحوها ولذلك اقتصرت بمخاطبات البلغاء وطبقات الكتاب والمتأدبين ونحوها فيه منحي البلاغة في المعنى والتأنيق في الالفاظ والاساليب وأكثر فيه من التفنن بالانواع البديعية مما يجمع بعض اطراف المعنى الى بعض بما يربطها من تناسب او تضاد او غير ذلك بحيث تتألف منه صور كاملة على جده ما يفعل المصور في تصوير الاشباح والمغني في تأليف النغم . والمقصود من كل ذلك الاستيلاء على قوى النفس واللباس المعاني المتأدية اليها من طريق الحس او العقل ثوباً من الخياليات بعد تلوينه باللون الذي يريده

الشاعر تبعاً لفرضه

والاغراض الشعرية ترجع في الغالب الى مقصدين احدهما تجسيم المعاني والمبالغة في اظهارها وتمثيلها مما تكون به اشد انطباعاً في النفس واثبت اثرها في المدركة على ما تقدمت الاشارة اليه . والثاني التأثير في النفس بمحدث من الاحداث كالسرور والانتقباض والاستثناس والاستيحاش والحب والبغض والخوف والرجاء وغير ذلك . ومن هذا الثاني اخذ المناطقة ما يسمونه بالقياس الشعري وهو عندهم كل ما اثر في النفس بسطاً او قبضاً وذلك كما اذا وصفت الخمر فقلت هي يا قوتة سيالة فان النفس تنبسط اليها وتجد لها ارتياحاً وسروراً وكما اذا وصفت العسل فقلت هو مرة مهووعة^(١) فان النفس تنقبض عنه وتجد منه اشمزازاً ونفوراً . وقد افصح عن هذا المعنى قول الشاعر

الشعر نازٌ بلا دخانٍ وللقوافي رُفَى لطيفه
كم من ثقل المحل سامٍ هوت به احرف خفيفه
لو هُجِيَ المسك وهو اهلٌ لكل مدحٍ لصارجيفه

واياه اراد الآخر في قوله

في زخرف القول ترين لباطله والحق قد يعتره سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان ذممت تقل في الزناير
مدحٌ وذمٌ وما غيرت من صفة حسن البيان يري الظلماء كالنور
ويبين ان هذا الذي ذكرناه من تأثير الشعر غير خاص بالكلام المنظوم ولكن كل ما تضمن شيئاً من الاغراض المذكورة واثّر في النفس تأثيرها

(١) المراد بالمرّة الخلط المعروف بالصفراء والمبوّعة المستفرّغة بالقيء

عدُّ شعراً . وقد قدمنا ان غالب شعر الاقدمين لم يكن على وزن ولا قافية وانما كان الشعر عندهم يمتاز عن النثر بشرف معانيه وجزالة الفاظه ونوع اسلوبه . على ان عندنا من الصنع النثرية ما يُجزئ عن الشعر وهو هذا السجع المفصل بما يشبه قوافي الشعر فان رنة الفاصلة يكون لها نفس تأثير القافية فلا يبقى ثمة فرق الا بالوزن ولذلك ترى لغة السجع على الغالب تشبه لغة الشعر من حيث التأنق في الالفاظ والتراكيب والاعراب في المعاني وتوخي الصور المجازية وغيرها مما تقدم ذكره . على ان السجع لا يعدم شبيهاً من الوزن ونعني به مراعاة طول القرائن بحيث تكون كل قرينتين متساويتين او قرينتين من التساوي فان ذلك من المستحسنات في السجع بل قد يعاب عكسه اذا كان التفاوت بين الفقرتين كثيراً . وهناك نوع آخر من السجع بُني على التوقيع وقُسم الى اجزاء عرضية قصيرة وان لم يكن له وزن مخصوص فكان له من الشبه بالموسيقى ما يقرب من شبه الشعر . ولم تر من هذا النوع الا البنود الخمسة التي رصفها ابن معتوق وقد ألحقت بأخر ديوانه نورد منها قوله في البند الاول

ايها الراقد في الظلمة نبه طرف الفكرة من رقدة الغفلة وانظر
 اثر القدرة واجل غلس الحيرة في فجر سني الحبرة وأرن الى الفلك
 الاطلس والعرش وما فيه من النقش وهذا الأفق الادكن في ذا الصنع
 المتقن والسبع السماوات ففي ذلك آيات ، هدى تكشف عن صحة اثبات ،
 اله كشفت قدرته عن غرر الصبح وأرخت طرر النجج ففدا يغسل من
 مبسمه الاشنب في مضمضتي نور سنياه لَعَس الغيب واستبدلت

الظلمة من عنبرها الاسود بالاشهب واعتاضت من مفرقها الحالك بالاشيب
وهكذا الى آخر البنود وهو فن لطيف

واكثر ما تجدد السجع الشعري في الخطب لما تدعو اليه من التننن في
المعاني والاشتقاق في الاغراض وتصوير الموصوفات والحوادث بما يميل
بالسامع الى غرض الخطيب ويستدرجه الى هواه . ومن اظهر امثله الخطب
المتضمنة لنوع من انواع المناظرة لما يكون هناك من معترك البلاغة وتصادم
الحجج وتهالك كل من المتناظرين على ادراك الفأج فيلون كلامه بكل
صبغة من المجاز ويصوره بكل صورة من الخيال . وانظر في ذلك مناظرة
السيف والقلم للشيخ جمال الدين بن نباتة فانه ابداع فيها كل الابداع واودعها
من المعاني المتخيلة والاختراعات الغريبة ما يقصر عنه كثير من الشعر
المنظوم وما لو نظم لجا من اعلى طبقات الشعر ولولا انها طويلة لسردناها
في هذا الموضوع وهي مذكورة في خزانة الادب لابن حجة الحموي في
الكلام على نوع التغاير فلتراجع هناك . وترى نموذجاً من هذا في البيان
فيما صدرنا به مقالة القمر وما جاء في صدر ترجمة المرحوم السيد جمال الدين
الافغاني وخاتمتها ومثل ذلك ما جاء في وصف الزهرة ومصير الارض في
مجلد السنة الاولى من الضياء مما تراه في اماكنه . وقد اتفق لبعض
شعرائنا المجيدين نظم شيء من المقالات المذكورة لما وجدوا فيها من شبه
الشعر فنظم المرحوم المأسوف عليه نجيب الحداد ما جاء من ذلك في مقالة
القمر وزاد عليه في قصيدة بديعة نشرت في البيان . وانشدنا مرة حضرة
الفاضل الالمعي مصطفى بك نجيب وكيل ادارة الداخلية في الحكومة المصرية

اياتاً لم فيها ببعض ما ورد في صدر ترجمة السيد جمال الدين وكان يوماً يقرأ
هذه الترجمة فمرَّ به ما لم يتمالك عن افراغه في قالب النظم وقد علق بالمحفوظ
شيء من تلك الايات نستأذنه في ايراده هنا قال حفظه الله

نعت النعاة يتيمة الدهرِ وخلاصة الاحساب والنخري
امسى جمال الدين في جدثِ ضمَّ العلاء ورفعة القدرِ
ليت المنية اخطأت رجلاً همدت به نارٌ من الفكرِ
وعزيمةٌ لا تنتهي صعداً حتى تفوت معارج النسرِ
« دبت على مجرى فصاحته وأتته بين الفك والنجرِ »
« عجبٌ لما فعلت ولا عجبٌ ان يسكن السرطان في البحرِ »

ومن هذا القبيل ما نقله في خزانه الادب من نظم ابن ابي الاصبع
لاحدى خطب الامام علي في مدح الدنيا والرد على من ذمها ولا بأس ان
زروي هنا الخطبة والنظم جميعاً لقمهرها قال الامام (رضه)

ايها الذمام للدنيا المغترّ بفرورها المخدوع بأباطيلها أتعت بالدنيا ثم تدمها
أأنت المتجرم عليها ام هي المتجرمة عليك . متى استهونك ام متى غرتك
ابمصارع آباتك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى . . قد مثلت لك
بهم الدنيا نفسك وخيلت لك بمصرعهم مصرعك ان الدنيا دار صدق
لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار
موعظة لمن اتعظ بها . مسجد احباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحي
الله ومتجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها
وقد آذنت بينها ونادت بفراقها ونمت نفسها واهلها فمثلت لهم ببلاها البلى

وشوقتهم بسرورها الى السرور . راحت بماافيةٍ وابتكرت بفجيمةٍ ترغيباً
وترهيباً فقدمها رجالٌ غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيامة ذكّرتهم الدنيا
فذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا . وهذه صورة النظم
من يذمّ الدنيا بظلمٍ فاني بطريق الانصاف اُثني عليها
نصحتنا فلم نرّ النصح نصحاً حين ابدت لاهلها ما لديها
اعلمتنا ان المال يقيناً للبلبي حين جدت عصرها
كم ارتنا مصارع الاهل والاحباب لو نستفيق يوماً اليها
يومٌ بؤس لها ويوم رخاء فتزوّد ماشئت من يومها
وتيقن زوال ذلك وهذا تسلّ عما تراه من حادثها
دارُ زادٍ لمن تزوّد منها وغرورٍ لمن يميل اليها
مهبط الوحي والمصلّى الذي كم عفرت صورةً به خديها
متجر الاولياء قدر بحوا الجنة م منها وأوردوا عينها
رغبت ثم رهبت ليري كل م لبيبٍ عقباه في حالتها
واذا أنصفت تمين ان يثني م عليها ذو البرّ من ولديها
(ستأتي البقية)

القهوة والقات

لحضرة الفاضل قاضي زاده احمد افندي رئيس الجمعية الاسلامية بالترنسوال

اطلعت على الرسالة التي نشرتموها في ضيائكم الزاهر بعنوان عمدة
الصفوة في حلّ القهوة ولما كان كلُّ من البن والقات الوارد ذكره في الرسالة

من نبات بلاد ي احببت ان اذكر لكم شيئاً عنها تفكيه للقرآء فاقول
 في اليمن من البن ثلاثة اصناف الصنف الاول يسميه اهل اليمن بالبرعي
 وهذا الصنف قشره حلواً جداً مثل الزبيب وحجمه صغير ويحمل شتاءً وصيفاً
 لا ينقطع لكنه قليل الحمل وفي الغالب يكون في جوف القشرة حبة واحدة .
 والصنف الثاني العُدْبِي نسبة الى بلدة تسمى العُدْبِي تابعة للواء تُعز وهذا
 الصنف يحمل مرة في السنة وحجمه كبير ويثمر كثيراً حتى ان الشجرة
 تنكسر من كثرة الحمل وارباب البساتين يدعمون الشجر بالحشب . والثالث
 الحرّازي نسبة الى حرّاز وحجم حبه كبير واكثره يكون في باطن القشرة
 منه ثلاث حبات مثلثة الشكل لكن يتسلط على هذه الشجرة الدود فيتناثر
 قبل الجنى ولا يسلّم من الدود الا القليل . والبن لا يثمر الا في السنة السابعة
 ولا يصلح الاتّ تحت اشجار كبيرة تظله لانه لا يطيق حر الشمس واذا
 جُرحت الشجرة ماتت لوقتها . والبر يُطلى قبل زرعه بالرماد والافسد ولم
 يخرج من الارض وهو ينبت شبه شجرة القطن بلا فرق

وقد رأيت في القهوة عدة منظومات لاهل اليمن خصوصاً علماء زيد

لم يبق في محفوظي منها الا ايات ارويها لكم فمنها قول بعضهم
 هم بآبنة البن فقد ودّها للطفها ربُّ الحجي والدّها
 سوداء ان انصفت حي لها لا تدعني الا يسا عبدّها
 والشطر الاخير ايداع من قول الأوّل
 لا تدعني الا يسا عبدّها فانه اشرف اسمائي

وقال آخر

قالت لنا القهوة لما غلت مقال صبّ مولع بالقيان
ما ادخلوني النار الا لكي احظى بلثم من ثغور الحسان

وقال غيره

اقول لمن قد ضاق بالهم صدره واصبح من فرط الشواغل في فكر
عليك بشرب الصالحين فانه شراب طهور نابه الذكر والقدر
وخل ابن عبد الحق يفتي برأيه وخذها بفتوى من ابي الحسن البكري
واما القات وهو الكفتة فهو ضرب من الشجريا كلة اهل اليمن وهو
اغلي من البن وتوجد شجرة منه في حديقة الازبكية بالقاهرة اجتلبها المرحوم
محمد علي باشا لما حارب الوهاية وقد رأيتها في الحديقة المذكورة سنة ١٣٠٥
لكنها ضعيفة جدا. واخواننا اهل اليمن المجاورون في رواق اليمن بالازهر المنير
يعرفونها وياكلون منها واهل مصر يضحكون منا ويقولون اهل اليمن مثل
الغنم ياكلون الحشيش الاخضر. وهذه الشجرة لا توجد الا في اليمن وفي
بلدة هرر من بلاد الحبشة وهي تبعد عن جيبوتي مسيرة ثلاثة ايام واهل
هرر ياكلونها مثل اهل اليمن. وقد وصلت الى هرر سنة ١٣١٢ وهي بلدة
فيها ما تشتهي الاعين وتلذ الانفس وفيها علماء كثيرون وكلها بساين
وشجرة القهوة تحمل اكثر من بن اليمن وقد ملكتها الحبشة من زمن قريب.
هذا واني قد سافرت في بر الترك وجلت في الاناطول والرومي ورحلت
الى بر الشام وسافرت في ارجائه مدة ثمانية اشهر ولم اعثر على شجرة القات
وكذلك في هذا الاقليم راس الرجاء الصالح واظن انه يوجد في اميرك لان
شجرته توافق شجرة البن

اما قمل القات في الانسان فيقرب من قمل الحمر غير انه لا يغير العقل
وصفته صفة خمر الجنة غير أن الذي لا يعرفه ولم يأكل منه يستبعد ما قيل
في فضله حتى يجربه فاذا اكل منه لا يستطيع تركه . وقد وقع خلاف في
حلّه بين علماء اليمن والحرمين في زمن العلامة ابن حجر وله فيه فتاوى
مشعبة . ولاهل اليمن في القات شعر كثير اروي منه قول بعضهم

القات يجلب الارواح افراحا ويورث القلب تنويراً واصلاحاً
وهو المعين على الاعمال اجمعها وهو المفيد لليل الهم اصباحاً
فهايه يا اخا سعدٍ ادره لنا حتى نرى الكسل المقوت قد راحا
وللسيد الجليل القطب حاتم الاهدل المخاوي قصيدة فيه اولها

يا روح رُوحِي وريحاني وراحاتي يا قدس قلبي ومحرابي وميقاتي
أدر غصون يواقيت من القات زبرجديات اوراقٍ ورِيقاتٍ
يجلو تناوله قلبي ورؤيته طرفي ويحلوه حالي واوقاتي

ومنها

كل المرادات فيه جمعت فلذا توجهت نحوه كل الارادات
لين القدود وتلوين الحدود وتنعيم الورود ولذات المذاقات
خصائص فيه يرويهامشايخنا ال اثبات عن سادة في الدين اثبات
اما ترى قلم الرحمن خطاً على الواح اغصانه رسم الجلالات^(١)
كله لما شئت من دنيا وآخرة وجلب نفع ودفع للبيات
فما اردت انتقالي في سما نظري في الكون الاجملت القات مرقاتي

(١) يزعم اهل اليمن ان اسم الله مكتوب على ورقه والله اعلم

وهي قصيدةٌ طويلةٌ اُكتفي منها بهذا القدر . وفي اليمن رسائل وكتب في القات والقهوة ما طُبعت قط ولو كنت موجوداً في الوطن لخدمتكم بشيءٍ منها ولكن « واين من المشتاق عنفاء مغربٌ » يسرنا الله لليسرى وختم لنا بخير ولا حول ولا قوة الا بالله

أكلة التراب

جاء في إحدى المجلات الفرنسية نقلاً عن أحد مكاتبيها أن أهل التكين والصين مولعون بكل صنفٍ من التراب يعدونه من فاخر المأكول ويتخذونه بمنزلة الحلوى والفاكهة وهو شائعٌ عندهم في المنازل والأسواق يصنعونه على هيئاتٍ شتى من الأقراص والرقاق ونحوها . قال وهو ترابٌ لزج من الصلصال الحديدي محمراً اللون فيه طعمٌ حريفٌ يحذي اللسان تخالطه آثارٌ من بقايا المواد الآلية والأملاح الشاذية على حد سائر الأتربة الصلصالية مما اثبتهُ بعضهم بالفحص الكيماوي

على أن هذا التراب ليس فيه شيءٌ من الخواص المغذية ولكنهم يتعللون به من قبيل ولوع بعض الناس بامتصاص المعقودات السكرية ومضغ التنبول^(١) والتبغ وغير ذلك مما هو شائعٌ بين كثير من الناس وجاء في روايات بعض السياح ذكر أناسٍ غير أولئك يأكلون التراب

(١) هو نبات له ورقٌ كاصفر ما يكون من ورق الاترج طعمه طعم القرنفل وريحه طيبة إذا مضغ طيب النكهة وشهي الطعام وحدث في النفس طرباً واريحية وأهل الهند يستعملونه بدلاً من الخمر ويأخذونه بعد اطعمتهم . اه محصلاً عن مفردات ابن البيطار

منهم طائفةٌ بالاورينوك العليا يقال لهم الاوتوماك ومنهم في غينيا والمكسيك والبيرو وكاليدونيا وغيرها . ويُذكر عن اهل بولونيا وزوج انهم كانوا في ازمة القحط ياكلون التراب النقي المعروف عندهم باسم الدقيق الجلي او الدقيق المتحجر يشغلون به معدم وان لم يقدم غذاء . على انه قد رؤي من الناس من ياكل التراب لغير ضرورة ولا لذة ولكن لداء يُعرف بداء الوحم به يفسد الذوق ويميل صاحبه الى اكل التراب فيحدث له عن ذلك تمددٌ عظيم في الصفاق وتهدل بطنه ويقبح منظره وهذا الداء يكثر في اميركا الهندية

وهناك اصنافٌ من التراب تتخذ علاجاً في بعض الامراض كالصنف المعروف بتراب ارمينيا وقد كان لهذا التراب قديماً شهرةٌ عظيمةٌ في باب الصيدلة ثم اجتزأوا عنه بما يسمونه تراب فرنسا وهو ترابٌ احمر اللون كانوا يحبونه وينسبون اليه من الخصاص التقوية والقبض والامتصاص ودرء السموم . وقد امتحنوا آخراً صنع اقراصٍ من التراب المعروف بالطرابلسي لمعالجة ضعف الهضم وتنقية الامعاء ويطلقون على هذه الاقراص خبز الرمل . والظاهر انه لا غرابة في هذا العلاج الأخير لما يُرى من مثله في الدجاج وغيرها من انواع الطير فانها تستعين على هضم طعامها بالخصى لتقوم في معدتها مقام الاضراس الماضغة ولأن هذا التراب يتخذ من ضربٍ من الصوان النقي المتناهي في الدقة وهو يُستعمل عادةً للجلاء فاذا مر في المعدة جلاها فكان لها بمنزلة الغسل الذي شاع استعماله في هذه الايام . انتهى تحصيلاً

— مكتبة الاسكندرية —

كتب الينا بعض قرآء مجلتنا يقول انه لم يرَ فيما كتبناه عن مدرسة الاسكندرية ذكراً لما يقال عن احراق مكتبتها بامر الامام عمر لا اثباتاً ولا نفيّاً وان الذي يترجح بناءً على ما رويناؤه من امر تلك المكتبة ان الخبر لا صحة له لان الجانب الاكبر منها احرق في زمن يوليوس قيصر عند احراقه لاسطوله وما بقي منها في هيكل سرايس نهب قبل الفتح الاسلامي بمدة ٢٥٠ سنة فلم يبق منها شيء الى زمن عمر

قلنا انا لم نتعرض لذكر هذه المسئلة لعموض امرها وخفاء دليلها وكثرة الخلاف فيها بين المؤرخين . على ان ما ذكره حصرة المكاتب لا ريب فيه فان الكتب التي جمعها البطالسة ذهبت كلها في الحادثتين المذكورتين ولم يبق شيء منها لا في المدرسة ولا في الهيكل . لكن ذكرنا هناك انه بعد احراق المكتبة الكبرى على يد يوليوس قيصر نقل مرقس انطونيوس الكتب التي وجدها في مكتبة برغاميا الى الاسكندرية وهي تبلغ نحواً من ٢٠٠ الف مجلد فأتخذت عوضاً من الكتب الهالكة . والظاهر ان المدرسة لم تحترق عند احراق المكتبة لان التدريس بقي متتابعاً فيها الى اواخر القرن الرابع للميلاد فلا بد ان يكون موضع المكتبة قد رُمّم بعد الحريق والاقرب على هذا ان تكون الكتب المذكورة قد جعلت فيه في موضع تلك وحينئذ فان صح ما قيل عن عمر فيكون ما احرقه هو هذه البقية . على ان من المؤرخين من ذكر ان كتب برغاميا وُضعت في هيكل سرايس لا في المدرسة كما نقله

جيرند في مؤلف له كُتبه سنة ١٨٤٠ فتكون قد نُهبت فيما نُهب من الهيكل المذكور والله اعلم

على ان اول مؤرخ ذكر احراق المكتبة بامر عمر هو عبد اللطيف البغدادي الطبيب المتوفى سنة ١٢٣١ م اي بعد فتح الاسكندرية بما يقرب من ست مئة سنة وذكر هذه الحادثة بعده ابو الفرج الملقب اسقف حلب المتوفى سنة ١٢٨٦ ومحصل ما رواه ان يحيى النحوي من اهل الاسكندرية كان له اتصال بعمر بن العاص وكان عمر وبيجله لعله فقال له يوماً انكم قد استوليتم على كل ما في الاسكندرية واستاثرتم بجميع اموالها وذخايرها ولكن ثم اشياء ليست من حاجتكم فهل تدعونها لنا قال وما تلك الاشياء قال كتب الفلسفة التي في خزائن الملوك فقال ليس لي ان افعل الا بعد استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطاب وكتب الى عمر في ذلك فكتب اليه عمر يقول اما الكتب التي استنزلت رأيي فيها فان كانت موافقة لما في كتاب الله ففي كتاب الله غنى عنها وان كانت مخالفة له فلا حاجة لنا بها فالتفوها فوزعها عمرو بن العاص على حمات الاسكندرية فلبثت توعد منها مدة ستة اشهر

ومما يجدر بالذكر هنا ان ما رواه ابو الفرج في احراق مكتبة الاسكندرية يشبه ما رواه ابن خلدون في احراق مكتبة فارس على ما نقلناه في احد اجزاء السنة الماضية قال لما فُتحت ارض فارس وجدوا فيها كتباً كثيرة فكتب سعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب يستأذنه في شأنها وتفيلها للمسلمين فكتب اليه عمر ان اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله باهدى منه وان يكن ضلالاً فقد كفانا الله فطرحوها

في الماء او في النار . اهـ . وقد وهم بعض مؤرخي الافرنج^(١) فزعم ان
رواية ابي الفرج في مكتبة الاسكندرية منقولة عن رواية ابن خلدون فيما
ذكره عن مكتبة فارس غير انه بدل بلاد فارس بالاسكندرية وسعد بن ابي
وقاص بعمر بن العاص قال وذلك ان ابا الفرج كان في القرن الثالث عشر
وابن خلدون في القرن الثامن فهو متأخر عن ابن خلدون بنحو ٦٠٠ سنة .
وقد اختلط على هذا المؤرخ التأريخ الهجري بالتأريخ الميلادي فان ابن
خلدون كان في القرن الثامن للهجرة لا للميلاد وكانت وفاته سنة ١٤٠٦
للميلاد اي بعد وفاة ابي الفرج بمدة ٢٢٠ سنة وحينئذ فان كانت احدى
الروايتين منقولة عن الاخرى فأحر بالامر ان يكون على العكس اي ان
تكون رواية ابن خلدون منقولة عن رواية ابي الفرج ولكن ذلك مستبعد
جداً . على ان تشابه الروايتين لا يمنع ان تكونا كلتاهما واقعتين لان من امر
باحراق المكتبة الواحدة لسبب اوجب ذلك عنده لا يبعد ان يأمر باحراق
الاخرى للسبب عينه . ولكن اعظم حجة تذكر هنا ان هذه الحادثة مع
جسامتها وشهرتها لم يذكرها احد من المؤرخين الذين سبقوا عبد اللطيف
البغدادى ومنهم سعيد بن البطريق وهو احد مشاهير مؤرخي العرب وكانت
وفاته سنة ٩٤٠ للميلاد اي قبل عبد اللطيف البغدادى بنحو ٣٠٠ سنة وهو
مولود مصر وفيها قضى حياته كلها الا ان يكون قد سكت عن هذه الحادثة
لامر ما والله اعلم

❦ القوى العاقلة في الحيوان ❦

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

يعلم قرآء الضيآء الوضآء اني نشرت منذ بضعة اسابيع مقالة في القوى العاقلة في الحيوان بينت فيها ان المبدأ العقلي في الانسان والعجاوات واحد فتعرض لانتقادها حضرة الاب لويس شيخو احد المتتبعين الى الرهبانية اليسوعية الآخذين على انفسهم القيام بنصرة الادب وتهذيب طلبة العلم في مدارسهم وتقويم اود النفوس بارشادهم ومواعظهم . ولعلمي بما عند غالب هذه الطغمة الفاضلة من التأدب ولا سيما في فن المناظرة لم ابتئس من الدخول مع حضرة الاب في هذه المناقشة يقيناً مني بانه لا يتعدى حدودها الى ما ألف عند الكثيرين منا من تلطيخ وجه الادب بالفاظ المهارة والخروج الى ما لا يليق بمن اخذ على نفسه صيانة الآداب العمومية ولذا سررت بانتدابه للخوض معي في هذا المجال لا اعتقادي بان مناقشتنا ستكون طبقاً لما ذكرته هناك بقولي « وحبذا كل انتقادٍ مصدره الاخلاص في تمحيص الحقائق ومؤداه الضالة المنشودة لا الثلب والتشفي بالطمع والتقريع كما هي عادة السواد الاعظم من كتابنا المتقدمين » . وقد افتتحت جوابي لحضرتي بالثناء على الرهبانية المشار اليها بما تستحقه من المدح والاعتراف لها بالفضل وظننت بعد ذلك اني قد تمتعت في حصن الكرامة واصبحت بمأمن مما لعله يسوق اليه طبع المناظر او يدفع اليه عجز الحججة من البدآء والتطاول وكنت متشوقاً الى اطالة المناظرة في هذا البحث جلاءً للحقيقة حتى صدر العدد الاخير من مجلة المشرق فاذا بحضرة الاب كما يقول بديع الزمان قد سقاني

الدُرديّ من اول دته وقابطني من اللفظ الخارج عن خطة الادب بما لم يكن صدوره من قلم هذا الفاضل اشد استغراباً عندي من صدوره من تلك المطبعة ودروجه الى عالم القراء من بين كتب الدين واسفار الادب بل من بين اظهر قوم قد اشتهروا بالصلاح والورع والنزاهة والكمال . وانا لا اشك ان رؤساءه لو اطلعوا على ما خطه بتلك اليمين الطاهرة ولم يحجب بينهم وبين كلامه عجمة اللغة لقيدوا قلمه عن الجري بما يشوه كرامتهم ويطلق الالسة فيهم بما يسوءنا سماعه ولا يليق بما اشتهروا به من النزاهة والفضل وبما ان قلبي لم يعتد تدوين ما يلائم طباع هذا المهذب ولست ممن يرضى لنفسه الخوض في هذه الحمأة وان رضىها لنفسه ودعاني اليها فاني ارفع عن مناظرته ضناً بأدابي ان تبدل في عيون القراء وصيانةً لقلبي من التلطيخ باوضار البداءة ومتى قبض لي من يعرف قيمة المباحث العلمية ويلتزم دائرة الادب والنزاهة لم اتوقف عن بسط ما عندي من البينات على تأييد ما ذهبت اليه والسلام

بعد كتابة ما تقدم وقفت على ردّ لحضرة الاب الفاضل الحوري قسطنطين الباشا (ب م) لمحت من خلاله حنكة في العلم وتأدباً في القول فوددت لو ان الاخير في الرد كان الاول في المناظرة كما هو اول في الادب والفضل . واني وان كنت قد اوصدت باب المناظرة في وجه من لا يفقه معناها فاني افتحه بيد الشكر لطارق شعاره الادب وضالته الحقيقة وموعدنا في ذلك الجزء الآتي ان شاء الله

مطارات

وردتنا المنظومات الآتية جواباً على اقتراحنا في الجزء الاول من هذه

السنة (صفحة ١٩) فابتنها بحسب تاريخ ورودها

شكوت لصاحبي جماح دهر	بلغت بكبحه ما ابتقيه
فقلا سوف نكتب كل هذا	حديثاً بعد موتك نقفيه
فصحت لفرحتي بخلود ذكري	« الاموت يباع فاشتره »
مصر	احمد سعيد البغدادي

ناظر مدرسة السعادة الاسلامية

حبيبي سوف يملاً بعد موتي	بترجمتي المجيبة كل طرس
لذلك صرت استحلي المنايا	فيا شوقي الى ظلمات رمسي

- يا حبيبي اذا توفيت ارحت م	حياة اسعدت فيها حياتي
- ارح الآن لا اظنك تحيا	يامتين الوداد بعد وفاتي
القرشية	احمد الكاشف

اتوق الى المنية يا حبيبي	وليس يهني زهو الحياة
اذا حاكت يمينك ثوب عمري	لقيت بلبسه عدم المات
رومية	برزدوس غصن

من تلامذة مدرسة اليونان

قيل لي يا حبيب انك تبغي بعد موتي احياء خامل ذكرى
 قهلتُ بهجةً ثم ناديتُ م اشتياقاً لله يقصف عمري

- انني يامناني من بعد طول ال عمر ابني لك الخلود بشعري
 - جبدا لو فعلت ذا اليوم حتى لا تشهي الي ظلمة قبري
 بيروت جبران النحاس

فوائد

تقديد الازهار - اعتاد المتعاطون لهذا الفن اللطيف ان يجمعوا الزهرة وحدها او بورقها بين صحائف كتاب ويضغطوا عليها منعاً لتجمدها عند الجفاف وبعد ذلك يأخذونها ويلصقونها على قطعة من الورق فتشبه الزهر المصور بالالوان. ولكن هذا يضيع من شكل الزهر ويذهب بهيئته الطبيعية ولذلك ارتأى بعضهم لحفظ الازهار على شكلها الطبيعي ان يؤخذ اناء في اسفله شيء من الرمل ويُغرز فيه ساق الزهرة بورقها ثم يُدَرّ الرمل عليها شيئاً فشيئاً حتى تتغطى باسرها وتترك كذلك الى ان تجف وتيبس وهي على تلك الحالة ثم يفرغ الرمل عنها فتكون على نفس الهيئة التي كانت عليها وهي حية

شمع صناعي - وصف احد الكيماويين الفرنسيين لعمل الشمع الصناعي المزيج الآتي
 يؤخذ ٥ اجزاء من الجلوتين النقي الذي لا لون له وتذاب في ٢٠ جزءاً

من الماء ويضاف اليها ٢٥ جزءاً من الغليسرين وتُحمى الى ان يتم امتزاجها ويصفونونها . ثم يضاف اليها جزآن من التينين مذابان باحماهما في ١٠ اجزاء من الغليسرين فيتمكر المزيج كله ولكنه يعود الى صفائه باغلاثة قليلاً ثم يترك على النار يغلي الى ان يتطاير منه الماء وحينئذ يُصب في قوالب زجاجية فاذا اُخرج كان شمعاً صافياً كالماء يحترق ببطء ولا رائحة له

تبييض الفولاذ (الصلب) المزرق - اذا ازرق الفولاذ على اثر دخوله النار يبيض بقليل من الحامض المرياتيك المركز مسحاً بشعيرية (فرشاة) او قطعة من الخشب . واما اذا كان قطعاً دقيقة فتغمس في السائل رأساً وبعد زوال الزرقة تغمس القطع في الكحل (السيروتو) او البنزين ثم في الزيت لمنع الصدأ

ولذلك صفة اخرى وهي ان تغمس قطعة من خشب في الحامض الكبريتيك ثم يُفرك بها الفولاذ المزرق فركاً لطيفاً حتى يبيض وينظف بعد ذلك بقطعة من الجلد . وبهذه الطريقة يمكن ان يُرسَم بالبياض على اللون الازرق ما يراد من كتابة او نقش او غير ذلك

لحام للحديد والفولاذ (الصلب) مع احماهما الى درجة الحمرة فقط - يؤخذ ٢٥ جزءاً من دُقاق البورق و ٢٥ من برادة الفولاذ و ٧ من ملح الامونياك و ٢٢ من صنع الكوباهي وتُطبخ هذه الاجزاء كلها على حرارة لطيفة في اناء من حديد حتى تتصلب ثم تُسحق وتحفظ جافة الى حين الاستعمال

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية - اني من المولعين بمطالعة الكتب الادبية والتاريخية وقد جمعت عندي طائفة كبيرة منها في جملتها كتاب مجاني الادب الذي جمعه وصححه حضرة الاب لويس شيخو « مدرس البيان في كلية القديس يوسف في بيروت » والحق يقال انه كتاب قد جمع فاعى لان بين يدي حضرة الاب مكتبة واسعة انتقى منها كل غريب لكن قلما كنت اطالع فيه وانا اشعر بلذة ما اشتمل عليه من الانفاس الا اقف عند آيات من الشعر او فقر من النثر قد تنكرت تحت ثوب من التصحيف والتحريف واخذتها عوامل البتر والصلم حتى يضع معناها وتذهب لذتها . وقد رايت في الجزء الاخير من مجلتكم المنيرة تصحيحاً لبعض آيات من مثل ما ذكرت فبحثت اقرع باب كرمكم راجياً ان تظهروا لي صحة ما انا ذا كره لكم من الآيات والفقر ولكم الفضل والثواب

فن ذلك ما جاء في الجزء الثالث صفحة ٢٦١ في الكلام على كسوف الشمس نقلاً عن القزويني وهو قوله « وسببه كون القمر حائلاً بين الشمس وبين ابصارنا لان جرم القمر « كئد » فيحجب ما وراءه » فلم افهم ما المراد بتشبيه جرم القمر بالمد ولا ما مدخل هذا التشبيه هنا

وفي صفحة ٢٦٤ في الكلام عن الحجره نقلاً عن القزويني ايضاً قال « وهي البياض الذي يرى في السماء يقال له « سُرج السماء » ووجدت هذه اللفظة مكررة هكذا في موضعين آخرين من الكتاب وقد بحثت في

كتب اللغة فلم اجد « السُّرُج » واردةً بهذا المعنى ولم يتبين لي وجه المناسبة في تسمية المجرة بهذا اللفظ

ووقفت في الجزء الرابع منه صفحة ٣٢ على رواية هذا البيت

كل نفسٍ سنقاسي كُرب الموت فللموت كُرب

وقد فرقت كلمات الشطر الاول حتى صارت بحيث لو قست هذا الشطر بعودٍ ونحوه لوجدته بطول الشطر الثاني اي حتى صار الشطران بطول واحد على الورق ولكنني عند ما وزنت هذا البيت في كفة العروض وجدت الاول ناقصاً عن الثاني نحو الثلث فما كان اصل هذا الشطر

وفي الجزء الخامس صفحة ١٢٥ روى الابيات الآتية لابن التعاويذي

من كل رجب المعى اجوفه ناري الحشا لا يمسهُ الشبعُ

فاستأنفوا لي رسماً اعود به على ضنك معاشي به فيتسعُ

حاشا الرسم الكريم ينسخ من نسخ دواوينكم فينقطعُ

وهذه الابيات كلها مخلاة الوزن الى ما لا يهتدى لتصحيحه ولا يكاد يُعرف من اي بحر هي

وفي صفحة ١٦٥ عن ابن الاثير في وصف فرس « وقد اغتدي عليه

والطير في وكناتها فلا يفوتني الا جدالٌ واذا اطلقته لصيد الوحش رأيتني

على منجرد قيد الاوائل هيكل » فما مدخل « الجدال » على ظهر الفرس

وما معنى قوله « قيد الاوائل »

وفي صفحة ١٨٣ روى هذين البيتين

أسدٌ كأنما سكونها متحركٌ في النفس لو وجدت هناك مشيراً

وكأنما اللازورد مخرمٌ بالخطِّ في ورق السماء سطوراً
والشطر الاول من هذين البيتين فاسد الوزن الا ان تصحيحه سهل بان
يقال عوض كأنما « كَأَنَّ » فيستقيم لكن الذي اشكل عليّ قطع الهمزة من
قوله « اللَّازورد » في البيت الثاني ولو وصلناها اختلف الوزن فما صحه
هذا الشطر

احد المشتركين

الجواب - اما المسئلة الاولى فمراد القزويني ان يقول لان جرم القمر
« كمدٌ » بفتح الكاف وكسر الميم وتخفيف الدال صفة من الكمدة يعني به
خلاف الشفاف ولذلك « يحجب ما وراءه »
واما تسمية المجرّة « بسُرُج السماء » فقد تصحفت هذه الكلمة على
المصحح وصوابها « شَرَج » بشين معجمة مفتوحة مع فتح الراء
واما شطر البيت الناقص فاصل الرواية فيه « كل نفس ستقاسي مرة »
وبهذا يتأتى لكم التوفيق بين القياس بالعود والوزن بميزان العروض
واما رواية الايات المينية لابن التعاويذي فينبغي ان تكون هكذا
من كل رجب المعى وأجوفَنا ربي الحشا لا يمسهُ الشبعُ
فاستأنفوا لي رسماً اعود على ضنك معاشي به فيتسعُ
حاشا لرسم الكريم يُنسخ في نسخ دواوينكم فينقطعُ
وحيثُ قد فتكون الايات من بحر المنسرح

واما عبارة ابن الاثير في صفة الفرس فصحتها وقد اغتدي عليه .. فلا
يفوتني « الأجدل » .. وعلى منجردٍ قيد « الاوابد » هيكل . والأجدل
الصقري يد وصف فرسه بسرعة الجري حتى لو عمد به الى صيد الصقر لم

يفته . وقوله قيد الاوابد يريد بالاوابد الوحوش اي انه يدركها فيكون لها بمنزلة القيد . والفقرتان حل لبيت امرئ القيس من معلقته المشهورة وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل

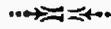
واما المسئلة الاخيرة فمن غرائب المسائل بل من طرائف النكات لان الشاعر اراد « وكان ماء اللازورد » فوصل الناسخ لفظه ماء بكان فصارت « كأنما » ولما نقص الوزن بسقوط همزة ماء قطع المصحح همزة آل من « اللازورد » فماد الوزن واللفظ جميعاً وحينئذ فالبيت غلطٌ وصواب في آن واحد اي غلطٌ في عين القارئ وصوابٌ في اذن السامع وهو لغزٌ لطيف . وقد اذكرتنا هذه المسئلة مسئلةً اتفقت لنا في كتاب كُلفنا تصحيحه وكان المؤلف كان يمي على كاتب بين يديه فاملى عليه قوله « يدعون كمال العلم » فكتب « كما » ثم كتب « للعالم » فجاءت العبارة « يدعون كمال العلم » واللفظ على كلا الهجاءين واحد كما ترى الا ان المسئلة الاولى تزيد ظرفاً على هذه بما ذكر من حديث قطع الهمزة فسبحان موزع الذكاء

آثار ادبية

كتاب تهذيب الاخلاق - هو مؤلف جليل وضعه ابن مسكويه العلامة المشهور من فلاسفة القرن الرابع للهجرة تكلم فيه على تعريف النفس ووصف قواها وملسكاتها وافعالها وما لها من الاخلاق والاهواء وما يتصل بذلك من وصف الفضائل والآداب المتنوعة وما ينبغي ان يلتزم منها في احوال التصرف والكسب والمعاشرة والمعاملة وغير ذلك مما احاط باحوال

الانسان الحسية والمعنوية وجمع كل ما يبلغ الى كمال النفس وطهارة الاخلاق
وصلاح الافعال والارتياض على الخير ويُتوصل به الى سعادة الفرد في
خاصة نفسه والامة في مجموعها . وكل ذلك بكلام فلسفي دلّ به على بُعد
غوره وانفساح نظره واحاطته باحوال الكيان الانساني من الجوارح البدنية
والقوى النفسية وما يتعلق بكلّ منهما من الطبائع والاهواء

وقد غني بطبع هذا الكتاب وتصحيحه حضرة الاصولي الفاضل عبد
الحليم افندي صالح رغبةً في نشر فوائده بعد ان بوبه وصدره بمقدمة انيقة
اردفها بترجمة المؤلف عن اوثق الرواة . والكتاب حسن الطبع جيد الورق
يشتمل على ما يقرب من ٢٠٠ صفحة متوسطة وثمنه ١٥ غرشاً اميرياً .
فثنى على حضرة الافندي المشار اليه ثناءً طيباً وتمنى له تحقيق ما يرجو
من تعميم نفع هذا الكتاب ونسأل لمؤلفه الرحمة وله وللطابع جزيل الثواب



تاريخ آداب اللغة العربية - أهدي لنا الجزء الاول من هذا الكتاب
وهو من تأليف حضرة الاديب محمد بك دياب المفتش الثاني للغة العربية
بنظارة المعارف المصرية كسره على اربعة ابواب الاول في تاريخ اللغة والثاني
في تاريخ الكتابة والثالث في تاريخ الشعر والرابع في تاريخ العروض . وقد اودع
كلاً من هذه الابواب ما تحسن فائدته وتروق مطالعته وسيردفه بالجزء
الثاني يبدأ بتاريخ النحو والصرف والاشتقاق فنثني على المؤلف بما هو اهله
وتمنى لكتابه هذا مزيد الانتشار



فَكَاهَاتٍ

رَقَائِئِهِ

الانتقام^(١)

كانت بلاد النمسا ايالاتٍ يتولى عليها الحكام بامر امبراطورها ولكل
ايالةٍ محاكمٍ خصوصية مرجعها الى العرش الامبراطوري في فيينا . وكان
في احدى الايالات الجنوبية المسماة كريتيان في فيينا في الثامنة عشرة من عمره
يُدعى ثيودور كان قد توفي والده وربى في بيت عمه وكان عمه قسيساً عالماً
فاعتنى بهديه وتعليمه فما بلغ السن المذكورة حتى احرز حظاً صالحاً من العلم
ونشأ على الآداب الحسنة . واتفق يوماً ان ثيودور خرج الى غابةٍ بقرب
بلدتهٍ للتنزه ويده كتاب يطالعه فيينا هو يتمشى في جوانب الغابة استدعى
انتباهه صوت فتاةٍ تستغيث فاسرع الى ناحية الصوت وقبل ان يدرك
الطريق رأى عربةً يجرها فرسٌ قد جمح وجعل ينهب الارض ولم يكن في
العربة سوى فتاةٍ تبلغ السابعة عشرة من سنها لم تقوَ يداها الضعيفتان
على كبح جماح الفرس الشارد فاستسلمت للقضاء وكان صوت دوايب العربة
يزيد الفرس نفوراً فيشتد ركضه . ولم يكن بعد ذلك الا لحظة حتى صارت
العربة بقرب ثيودور ورأى الفتاة فيها على تلك الحال فلم يسهه الا ان هجم

(١) معركة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

لتخليص تلك الفتاة المسكينة ولم يكن معه شيء يستطيع به رد جماح القرس سوى عصاه فرفعها وضرب بها رأس الجواد بمنتهى قوته فوقف لاجال واسرع ثودور فقطع عنانه وربطه به الى شجرة قريبة ثم انزل الفتاة وكانت قد اغمي عليها فوضعها على الارض وجعل يتأمل في وجهها فرأى من بديع التكوين وجمال الطلعة وبهاثها ما سلب رشده وخب فؤاده ولبث كذلك حيناً وقد اذهله ذلك المنظر عما يجب صنعه في تلك الساعة . ثم انبه بجأه كمن افاق من نوم عميق وجعل يعدو في تلك الناحية حتى اصاب موضعاً فيه ماء فاغترف منه في طاس كان معه وعاد الى الفتاة فرشاه على وجهها ثم اخذ يفك ما على صدرها من الأزرار ليفرج عنها وبينما هو يتأمل في ذلك البياض الناصع واللون الفضي فتحت الفتاة عينيها وقالت اين انا . فقال لا تخافي ايها السيدة فانت في سلام . ولم تطل مدة مكثها على تلك الحالة حتى نهضت ولما علمت بما جرى جعلت تثني على ثودور وتشكر احسانه لا تقاذاها من الموت . وكان ثودور كالمسحور بجبالها فلم يجب بكلمة ثم جثا على ركبتيه امام تلك الفتاة واعترف لها بمحبته وبعد ان جلسا حيناً يتحداثان وقد وقع من قلبها مثل موقعها من قلبه سأل عن اسمها فاخبرته ان اسمها كاترين وان اباهما من اشراف البلاد . ثم اخذا يتجادبان حديث الحب ولما وثق بميلها اليه عرض لها بطلب الاقتران فسألته عن اسرته وشغله ومقامه فاعلمها انه من اسرة كريمة تعرف بال كرتور قال واما شغلي ومقامي فاني لم اختم دروسي الا من بضعة اسابيع ولكنني مع ما حصلته من العلم وما اعلم في نفسي من علو الهمة والاقدام على الامور اوئل مستقبلاً حسناً . وبعد

حديث طويل اجلى اجتماعها عن تصميم ثودور على دخول الجندية آملاً ان ينال نبسالته واقدامه مقاماً سامياً وشرفاً رفيعاً يؤهله للحصول على كاترين ووعده هي ان لا تميل الى سواه وانها ستحافظ على محبته وولائه وتنتظره ما شاء الله الى ان يبلغ المقام المطلوب . وبعد ذلك نهضا فاركب ثودور كاترين في عربتها وركب الى جانبها حتى اوصلها الى البيت خوفاً من تكررها حدث سابقاً ثم ودعها وسارموي تشير اليه بمنديلها وترافقه بدعائها وعاد ثودور الى عمه فاعلمه بتصميمه على دخول الجندية وطلب اليه ان يكلم القائد كروزكي في امره فسرَّ عمه لهذا الامر ووعده خيراً وكان ذلك في اثناء المعارك العظيمة التي كانت قائمة بين دولة النمسا والدولة العثمانية . ولما كان الصباح التالي اخذ كرتور ابن اخيه ثودور وتوجها الى مقام القائد كروزكي فلما وقف ذاك على رغبة الفتى اظهر سروره وقبل حالاً انضمامه الى فرقته . ولم يأت على ثودور ايام كثيرة حتى عين في الجندية فارتدى الثوب العسكري وجعل يتمرّن مع العساكر واحبه القائد كروزكي كثيراً فكان يعامله كولدٍ ويمهد له سبل التقدم والنجاح . وكان الحب المتبادل بين ثودور وكاترين في ازدياد دائم وكانت تأتي كل يوم الى محل عرض الجنود فتمتع نظرها بمرأى ثودور وهو يتخطر كالغزال ويراها هو فيتعش فؤاده

وكان حاكم كريشيا ظالماً عاتياً سفاحاً قد اجتمعت فيه اقبح الصفات وارداً الخصال ولم يكن عليه امرٌ في ايلته فاستعمل ما شاء من المظالم والقسوة وكان اذا مرّ في شارع اوجب على القوم جميعاً ان يخرجوا من محلاتهم

الى الطريق ويقفوا لاستقباله ورؤوسهم مضمية . وحضر يوماً الى محل تمرين
المساكر فرأى كاترين في عربتها فسأل عنها فقيل له انها مخطوبة لجندي
يدعى ثيودور . فاستاء من مجرد ذكر الامر امامه وقال هل بلغ من هؤلاء
الجنود المحترمين ان يفتكروا بامر الحب ايضاً لا شك ان ذلك من نقص
تدريب القائد كروزكي فينبغي ان انبهه الى مثل هذا الامر الذي لا يسمح
بجدوته . ثم اسرع بجواده ليلينغ الامر الى القائد وبينما هو سائر بين الصفوف
رأى جندياً لم يحن رأسه اجلاً له فسأل عنه فاخبروه ان هذا ثيودور
خطيب الفتاة . فهاج غيظه الكامن وبلغت منه الحدة مبلغها فصاح به احن
رأسك ايها الغلام امام مولاك واحذر ان ترفع نظرك الي بعد الآن . ولم
يكن ثيودور معتاداً سماع مثل ذلك فهاج الدم في رأسه والتقى نظراً حاداً
في وجه الحاكم ولم يجبه . فزاد ذلك في غيظ الحاكم فلكرز جواده حتى اقترب
من ثيودور ثم رفع سوطه وضربه به ثلاثاً قائلاً يظهر انك حديث الخدمة
ايها الوغد فيجب ان ينالك شيء من التريية . ولكنه ما كاد يلفظ الكلمات
الاخيرة حتى رمى ثيودور بندقيته من يديه ووثب الى الحاكم فاقتلعه من
السرع باسرع من لمح البصر وضرب به الارض . وللحال هجم الحرس
فامسكوا ثيودور وانهمضوا الحاكم فرجع الى بيته وهو يرغي ويزبد واصدر
حكماً عاجلاً بقتل ثيودور في الصباح الثاني

وبات ثيودور تلك الليلة في سجنه يفكر فيما حدث له في يومه وقد
ايقن بحلول الاجل وانه لا بد من قتله في صباح الغد . وانه كذلك واذا
بباب سجنه قد فُتح ودخل عليه القائد كروزكي ثم قال له اني اعزك يا

ثيودور كولدي واني لفي غاية الاسف على ما حصل اليوم وقد احضرني اليك الآن اني سمعت من احد اخصاء الحاكم انه ندم على حكمه العاجل وهو يود خلاصك ان كان في الامكان لانه هو كان البادئ باهانتك وعليه فانا اشير عليك ان تطلب مواجهته فتجثو على اقدامه وتسأله العفو فلا يبخل عليك به . فقال ثيودور اأتنازل لهذا الوحش الضاري وانا لست مجرماً كلاً فاني افضل ان يقطع حبل حياتي عاجلاً على ان اركب مثل هذا الذل . قال كروزكي ولكنك فتى في اوائل العمر يا ثيودور وامامك حياة باسمة ومستقبل سعيد أفلا يستحق ذلك تنازلك القليل للحاكم مهما كانت صفاته . فجعل ثيودور يفكر في حبيبته كاترين وفي موته العاجل بعد ان كان قد وطد الامل على احراز ما يؤهلها للاقتران بها والسعادة بقربها فلم يملك عينيه من البكاء . ثم نظر الى قائده فقال انك بكلامك تكسر قلبي وتضرب على اشد الاوتار تأثيراً في فاتوسل اليك ان لا تسهل علي هذا الامر فقد وطنت نفسي على لقاء المنية وهدم مستقبل حياتي دون الازعان للتنازل الى هذا اللاعيم فانه لن يراني جانياً امامه وفي من الحياة بقية

ولما رأى القائد ان لا امل في اقتناع ثيودور ودعه معانقاً اياه والدموع تخنق كلماته وخرج . وعاد ثيودور الى التفكير في امره ففرق في بحر تأملاته الى ما بعد منتصف الليل وحينئذ فُتح باب سجنه ثانية وكان الداخل في هذه المرة كاترين فوثب ثيودور لاستقبالها وقد اخذه اشد العجب من حضورها اليه في مثل تلك الساعة ف اشارت اليه ان يصمت واخذت تقص عليه حديث مجيها فقالت انني ذهبت الى بيت القائد كروزكي لاطلب منه جوازاً

يبيع لي المجيء اليك فقيل لي انه هنا فانتظرته ريثما عاد وكان حزينا جدا فلم
 يذق طعاما ولم يواجه احدا من أسرته واوصى الخدم ان لا يأذنوا لاحد في
 الدخول عليه. اما انا فالحجت في طلب مقابله ولما علم اني انا خطيبتك اذن
 لي في ذلك وذكر لي ما دار بينكما من الحديث ثم اعطاني الجواز الذي به
 تمكنت من الدخول اليك في سجنك . والآن وقد صممت على لقاء المنية
 مفضلا اياها على السقوط امام هذا الحاكم الجائر فليس لي ما اقوله في ذلك
 ولكن جئتك يا حبيبي ثودور لأسهل لك سبيل الفرار فهلم بنا واخرج من
 سجنك واهرب في هذا الليل الدامس الى حيث تأمن هذا الوغد وجد هناك
 في تحسين احوالك حتى اذا قررت امر مستقبلك تستقدمني اليك فاوافيك
 ونقضي بقية ايامنا معا . فكان ثودور يسمعها بسرور ولكنه لم يلبث ان
 انتفض فجأة وقال لا لا كيف اهرب واعرض حياة البريء لتجرع كأس
 الموت مكاني فاني اذا فررت لا يتأخر الحاكم عن استدعاء السجنان ومعاملته
 بما كان معدا لي . قالت كاترين ولكني قد تداركت ذلك ورشوت السجنان
 واقنعتهم بالفرار معك الى ان تخرجنا من البلدة فيذهب كل الى سيده . فتبسم
 ثودور ثانية ثم قال ولكن ألا أحسب جباناً اذا فررت من الموت . قالت
 ان الوقت اضيق من ان اجادلك في هذه الامور ولكن اسمع يا ثودور
 انك قد وهبتي حياتك فلم يعد لك حق التصرف فيها وانا اريد ان تحافظ
 على هذه الحياة فايك ان تعصيني واني قد جهزت لك كل شيء فهلم بنا
 فالوقت ثمين . ثم وضعت في يده كيسا من النقود وقالت خذ هذا فر بما
 ساعدك في سفرك واذا خرجت من هنا ترى عند الباب الثاني جوادا فاركبه

وسر على بركات الله . فوقع ثيودور على عنق كاترين يقبلها ويودعها وهي تلح عليه بالاسراع في الخروج حتى خرج فرأى السجنان في انتظاره مع الجواد فركب الاثنان وسارا يخفيهما ستار الليل المدلهم . ولما خرجا من المدينة فصل السجنان عنه وسار في طريقه وانطلق ثيودور بحصانه في وجه البر وهو لا يدري الى اين يذهب او ماذا يفعل

ولبت ثيودور يتردد مستخفياً في بعض قرى كريشيا وهو يتنسم اخبار الحاكم من حيث لا يشعر به فبلغه يوماً انه طلبه في صباح اليوم الثاني من سجنه ولما علم بفراره مع السجنان بلغ منه الخلق ان صب كاس انتقامه على اسرة ثيودور فقتل عمه ونفى زوجته عمه وهدم بيته الى اساسه ولم يكن ثيودور ينتظر مثل هذه القساوة البربرية فجعل يفكر في الانتقام من هذا الحاكم . وكان في تلك الاثناء ان ابتدأت المناوشات بين الجيوش التركية والنمساوية على الحدود الفاصلة بين المملكتين فعزم ثيودوران ينضم الى الجيش التركي عسى ان تمكنه الفرص من الاخذ بشار عمه وشفاء حزازات صدره فطلق يحد السير ويصل ليله بنهاره حتى بلغ الآستانة وهناك اجتهد حتى وفق الى مواجهة وزير الحربية فاطلعه على بعض ما في نفسه وميله الى الانتظام في سلك الجندية التركية ونال ثيودور حظوة في عيني الوزير فقبله في الجند وقاده رتبة ضابط وفوض اليه قيادة فرقة من عساكره . وكان ذلك جل ما يتمنى ثيودور فطارت نفسه فرحاً وجعل يهتم في تدبير عساكره وتدريبهم ورأى الوزير رغبته واستقامته فبعث به مع الحملة السائرة الى حدود النمسا لمقابلة جيوشها وصددهم عن الدخول الى الحدود العثمانية . وكان ثيودور يسير

كمن يسير الى مأدبة حتى بلغت الجيوش الحدود وانتشبت المعارك بين
 المملكتين على ما هو معلوم في التاريخ . اما ثيودور فكان يزوج نفسه الى
 اشد مواقع القتال خطراً ولا ينفك في طليعة جنوده يشجعهم ويحثهم على
 الاقدام وكانت رغبته في الانتقام من الحاكم من جهة والسعي في سبيل
 الارتقاء من جهة اخرى يزيدانه جرأةً وثباتاً في الحرب فلم يمر بجيش الا
 ابادهُ ولا يبرج الا غادرهُ دكاً ولا قرية الا تركها رماداً . وكانت اشهر مواقه
 في كريتيا حيث اشتبك القتال ورأى الحاكم في مؤخر العسكر يراقب القتال
 فشق ثيودور بجنوده صفوف الاعداء حتى بلغ الحاكم وتقابل الاثنان . ولما رأى
 الحاكم ثيودور عرفهُ فاستل سيفهُ وهجم عليه وهو يقول اليك يا خائن الوطن
 والدين . فاطبق ثيودور عليه ولم يمهله ريثما استل الحسام حتى طعنه في صدره
 فارداه قتيلاً فصاحت الجنود العثمانية بالتهليل والتكبير وولت جنود النمسا
 الادبار فبعثهم ثيودور برجاله مسافة خمسة اميال

وكانت تصل الى الآستانة التقارير اليومية عن اعمال الجنود وبلغ السدة
 الشاهانية افعال ثيودور فاحسنت اليه بالاوسمة السنية والجوائز الطائلة ولم
 يزل يتقدم ومنزلته ترتفع في العيون مدة خمس سنوات متوالية حتى انقضت
 الحرب وقد نال لقب باشا واصبح لديه من المال والجاه ما ليس بعده من مزيد
 ولما خلا باله واستقامت احواله ارسل في طلب كاترين فوافته مع والديها الى
 الآستانة فعقد له عليها وبعد ان اقام والداها عنده مدة عادا الى بلادهما ولبث
 ثيودور بالآستانة محفوفاً بالاكرام والانعام وعاش مع زوجته سعيداً مسروراً
 الى ان فرق بينهما داعي الحما